الرِّسَـــالة ٧٥

طريقُ النجَـــاح

(Arabic - The way of prosperity)

أحبّائِى.. حَديثَنا اليَوْمَ مَوضُوعُهُ: **طريقُ النجَـــاح**

ومِنْ سفر الأمثال الأصحَاح الثامِن والعِشْرِينَ نقرَأ العَدَدَ الثالِثَ عَشَر:

"مَنْ يكتمْ خطايَاهُ لا يَنجَحُ ومَنْ يُقرُّ بهَا ويترُكهَا يُرْحَمُ".[١]

خلقَ الله فى أعماق الإنسان احتياجاتٍ غَريزيّة.. ولا تستقيمُ الحياة دون إشباع تلك الاحتياجات.. والحاجة إلى النجاح واحدة منها.. وبدون تحقيق تلك الحاجَة تصيبُ المرء مُعاناة شديدة وإحساس بالشقاء والتعاسة.. وأحيانا عدم إشباعها يؤدى إلى أسقام نفسيّة خطيرة.. فليس هناك أقسى على النفس مِنَ الإحساس بالفشل والشعور باليأس.. ولو استرجعتَ عزيزى القارئ مَراحلَ حياتِكَ لوجدتَ فيها مَا تستطيعُ أنْ تسْردَهُ مِنْ قصص لنجَاح كان حافزاً لنجاح آخر.. ولقد خلقنا الله جلّ جلالهُ لننجحَ لا لنفشلَ.. ولنفرحَ لا لنحزنَ.. واللهُ لا يتركُ نفساً بشريّة دونَ بابٍ مفتوح لأمل فى نجَاح وخلقَ فينا مَواهِبَ بتنميتِها يتحققُ نَجَاحنَا .. ومَا زَال طريقُ النجاح مفتوحاً لكلِّ إنسَان.

لقد استهلّ يُوحنا الرَسُول رسَالتهُ الثالثة بكلمَات مُشجعةٍ وجّهها لِصديقهِ الشيخ غايس هذا نصّهَا: "أيّها الحبيبُ.. فى كلّ شىء أرُوم أنْ تكونَ ناجحاً وصحيحاً كمَا أنّ نفسَك ناجحَة".. ومُؤكدٌ أنّ بُعدَ الإنسَان عنْ الله هو سِرُّ فشلهِ.. قد ينجحُ الإنسانُ نجاحاً مُزيفاً بالغشّ والخدَاع.. ولكنْ كلّ مَا بُنِى على غش هو بناءٌ غيرُ ثابتٍ.. قد يبدُو ذلكَ البناء أوّل الأمر أنّهُ قوىٌّ صامدٌ ولكنْ حين تشرقُ شَمْسُ الحقيقةِ سوفَ ينهارُ كلّ مَا بُنِى فى الظلام.[٢]

لقد جَاءّ ذكرُ النفس الناجحة فى رسَالة يُوحنا الرَسُول وجَديرٌ بالذكر أنّ النفسَ الناجحة هى وحدها القادرة على الاستمتاع بكلّ نجاح يحرزه المرء.. والنجاح للنفس ميسورٌ لكل إنسان دون تمييز لواحدٍ عن الآخر.. يقول يُوحنا الرّسُول لصديقهِ غايس: "لأنى فرحتُ جداً إذ حضرَ إخوَة وشهدُوا بالحقّ الذى فيكَ كمَا أنك تسلكُ بالحقّ".. مِنْ هُنَا نفهمُ أنّ سرّ النفس الناجحَةِ هو استنارتها بالحقّ لأنّها تسلك بالحق الساكن فيها.. ولكنْ كيفَ يتحققُ للنفس ذلك النجاح المُشار إليه بأنّ الحصولَ عليهِ ميسورٌ ولا يتطلبُ بذلَ مَال أو جُهد؟. فى كلمات بَسيطةٍ مُختصرة أقولُ: يمكنُ ذلكَ بمعرفةٍ حقيقيّةٍ بيَسُوعَ المسيح الذى قال عن نفسهِ : "أنَا هُوَ الطريقُ والحقّ والحيَاة".. وقالَ أيضاً: "وتعرفونَ الحقّ والحقّ يُحرّرُكمْ".. نستخلصُ مِنْ ذلكَ أنّ النفسَ بمعرفتها بالمَسيح ستعرفُ الحقّ وبمعرفتها للحقّ تنالُ تحريراً مِنْ قيود الباطل بهذا تعَدّ النفسُ ناجحة.. ولقد قالَ الرّبّ يَسُوع: "ماذا ينتفعُ الإنسانُ لوْ ربحَ العالمّ كلهُ وخسرَ نفسَهُ".. فلنْ ينتفعَ الإنسانُ شيئاً بمَا كسبهُ أو نجحَ فى الحصُول عليهِ إذا خسرَ نفسَه[٣].

أهمُ ما يميزُ النفسَ الناجحة صلتها الوثيقة بالإله الحىّ.. فهى تستمدّ منه الحكمَة والعوْن والقوّة التى بدونها لا دوامَ لنجاح.. واللهُ لا يبخلُ بحكمتِهِ وعونِهِ وقوتهِ على مَنْ قبلوا الحقّ وتمسكوا بهِ.. ومِنَ أفضل الأمثلةِ التى وردتْ بالكتابِ المقدّس هو يُوسف الصدّيق.. فلقد كانت صلته وثيقة بالله.. عانى ظروفاً شاقة لمّا باعهُ إخوتهُ لتجار إسماعليّين وجاءوا به إلى مصر.. ولكنْ لمْ يحدثْ أنْ تخلى يوسف عن إيمانهِ وثقته بالله لذلك لمْ يتخلَ الرّبّ عنهُ.. ولقد سجل الوحىُ شهادة عظيمة ليوسف عن صلته القوية بالله التى لمْ تتأثرْ بالتجارب القاسية.. وجاء بسفر التكوين الاصحاح التاسع والثلاثين مَا يوضح سرّ نجاح يوسف وهو ارتباطه بالرّبّ كما هو مذكورٌ بالنصوص التالية : "وكانَ الرّبّ مَعَ يُوسف فكانَ رجلا ناجحاً".. "وكلّ مَا يصنعُ كانَ الرّبّ يُنجحُهُ بيدِهِ".. إذا حَظيَتْ النفسُ

---

[١] سفر الأمثال ٢٨: ١٣ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] رسالة يُوحنا الرَسُول الثالثة ٢ – ٤

[٣] إنجيل يوحنا ١٤: ٦ ، ٨: ٣٣ ، إنجيل متى ١٦: ٢٦ ، إنجيل مرقس ٨: ٣٦ ، إنجيل لوقا ٩: ٢٥

بصلةٍ وثيقةٍ بالله وسلكتْ الطريقَ الصحيحَ كى تتخلصَ مِنْ قيودِها ولمْ تكتمْ خطاياها بل أقرّت بها وتركتها نالتْ رحمَة وكانت نفساً ناجحة.. قالَ الحكيمُ فى أمثالهِ: "مَنْ يكتمْ خطايَاهُ لا يَنجَحُ ومَنْ يُقرّ بهَا ويترُكهَا يُرْحَمُ ".[١]

إنّ العاملَ الأول لنجاح النفس هو تحرّرُها مِنْ قيُودِ الخطيّة.. لا ينفعُها المكاسبُ العالميّة مهمَا أحرزَتْ منها.. فالحكيمُ يقولُ: "مَنْ يُحبّ الفضة لا يشبعُ مِنَ الفضة ومَنْ يُحبّ الثروَة لا يشبعُ مِنْ دَخل".. ولا ينفعُها الهروبُ مِنَ الواقع بخُمُورأو مُسكرَاتٍ أو مُخدراتٍ لأنهُ هُرُوبٌ مُؤقتٌ يؤدى إلى تعاسةٍ دائمةٍ.. إنّ شعورَ الفشل واليأس والمرَارَةِ والاكتئاب لا تصيبُ نفساً ناجحَة.. يقولُ الحكيمُ بسفر الجَامعةِ: "افرحْ أيها الشابّ فى حداثتكَ وليُسرّكَ قلبُك فى أيّام شبابكَ. واسلكْ فى طريق قلبكَ وبمرْأى عينيكَ. واعلمْ أنه على هذه الأمور كلها يأتى بك الله إلى الدينونةِ.. فاذكرْ خالقكَ فى أيّام شبابكَ قبلَ أنْ تأتىَ أيّامُ الشرّ أو تجىءَ السنونُ إذ تقولُ ليسَ لى فيها سُرورٌ لأنّ الإنسانّ ذاهبٌ إلى بيتِهِ الأبدىّ.. فيرجعُ الترابُ إلى الأرض كمَا كانَ. وترجعُ الرُوح إلى الله الذى أعطاها".

ويَختمُ الحكيمُ أقوالهُ بتلكَ النصيحةِ الذهبيّةِ.. "فلنسمعْ إلى ختامَ الأمْر كلهِ: اتق الله واحفظ وصاياهُ لأنّ هذا هوَ الانسانُ كلهُ. لأنّ اللهّ يُحضرُ كلّ عَمَل إلى الديْنونةِ. على كلّ خفىّ إنْ كانَ خيْراً أو شراً". حقاً أنّ مَنْ يكتمْ خطاياهُ لا ينجحُ. ولكنْ لنبشرْ فبابُ الرجاء مفتوحٌ على مصراعيْهِ. لأنّ مَنْ يُقرّ بهَا ويترُكهَا يُرْحَمُ. إنّ الله فى المَسيح يَسُوع يقدّمُ خلاصاً للنفس ورَحمَة. يُقدّمُ تحريراً لها مِنْ قيودِها وبهذا تنجحُ النفسُ وتستمتعُ بالحياةِ الأفضل هنا. وبالسعادةِ الأبديّةِ مَعَ الملائكةِ والقديسينَ فى السّمَاءِ.[٢]

كثيرون يعيشون فى الخطيّة لدرجة أنّهم صارُوا عبيداً لها. ويحاولون إرضاءَ الله بأعمال برّ عساهم ينالون عفوه وينقذون أنفسهم مِنَ الهلاك الأبدىّ. نسوْا أنّ مِنَ الحكمة أنْ نتركَ أمرَ نفوسنا لمَنْ خلقها ودبّر أمرَ خلاصها. فليس لنا أنْ نرسمَ لأنفسنا طريقاً بها نخلصُ. إذ ونحن متورّطون فيما صرنا لها عبيداً. فمَنْ يَسقط فى حفرةٍ ويستغيثُ طالباً الخلاصَ مِنْ محنتهِ ليسَ لهُ أنْ يقترحَ على رجال الأنقاذ المُتخصّصين أفضلَ الطرق لإنقاذِهِ. قائلاً لهم: دَعُوا وسائلكم جانباً فلى وسائلى الخاصّة. ومَا عليكم إلا أنْ تقبلوا مَا أشيرُ بهِ عليكم. فهذا يُساعدنى كثيراً على خلاص نفسى مِنَ الحفرةِ. أوَليسَ هذا غروراً وكبرياءً وضياعاً لفرصَةِ الإنقاذ المُتاحة لهُ؟!. إنّ الله يعلمُ بسقوطنا ويعلمُ أننا عاجزون عن خلاص نفوسنا. لذا دبّرَ أمْرَ خلاصنا وارتضى أنْ يدفعَ الثمنَ. كان الثمنُ هو دمُ الابن الوحيد الذى جاءَ الينا مُتجسدا. وعلى الصليب قالَ قد أكمِلَ.. وليْسَ علينا إلا أنْ نقبلَ خلاصاً أعَدّهُ وأكملهُ.[٣]

إنّ الآبَ السّمَاوىّ قدوسٌ وعادلٌ ورحيمٌ. دبّر أمْرَ خلاص البشريّة دونَ أنْ يُكلفَ الخاطئ العاجز شيئاً مَا لخلاص نفسِهِ.. فالذى دبّرَهُ يتفقُ مع قداستهِ وعدلهِ ورحمتِهِ.. ومَنْ نحنُ حتى نشيرَ على الله فى عظمتهِ وعُلوّ مكانتهِ برأى مَا؟. أولسنا تراباً وإلى الترابِ سنعودُ؟. إنّ الحكيمَ حقاً مَنْ عَرفَ قدرَ نفسهِ.. قد يسألُ سائلٌ مَا الذى دبّرَهُ الله لأوفرَ على نفسى مَجهوداً سبقنى غيْرى وبذلهُ وما أوصله إلا إلى طريق مَسدود؟. الإجابة نجدُها عندَ الذين اختبروا تلكَ الحياة الأفضل. لقدْ ندمُوا على خطاياهم وجاءُوا مُعترفين تائبين ناظرين إلى ذاك الذى عُلق على خشبةٍ مِنْ أجلهم. إنّ نظرة واحدة إلى صَاحب الجبين المُمزق بإكليل الشوْك. والى الجنبِ المَطعون بالحربة. وإلى اليدين والقدمين المثقوبات بالمسَامير. إلى البار الذى تحمل عنا عقاب خطايانا. إلى ابن الله الذى بصلبهِ وموتهِ وقيامتهِ أعطانا بنويّة لله وحياة أبديّة.. إذ أنّه محا الصكَ ودفع ديناً كانَ علينا أنْ ندفعَهُ.. فلنأتِ اليهِ مقرّين بذنوبنا مُعلنين توبتنا. فبذلك ننال رحمة ونفسا ناجحة.. "مَنْ يكتمْ خطايَاهُ لا يَنجَحُ ومَنْ يُقرّ بهَا ويترُكهَا يُرْحَمُ ".[٤]

عزيزى القارئ.. أدعوكَ لتشتركَ مَعِى فى تلكَ الصلاة: أبَانَا السّمَاوىّ.. أضعُ نفسى بين يديكَ. فليس لى خلاصٌ إلا عندَكَ. ولا نجاحَ لنفسى إلا بكَ. وليسَ مِنْ طريق للنجاح إلا بالسلوكِ فى طريقكَ.. ها أنا آتٍ إليكَ معترفاً بخطاياى عازماً على أنْ أتبعكَ. سائراً بهدْيكَ. مُسترشداً بكلامِكَ فأقبلنى إلهى!.. أرفعُ صلاتى فى اسْم يَسُوع البار الذى هو الطريقُ والحقّ والحيَاة.. اقبلنى سيّدِى يَا مَنْ وَعَدْتَ بقولكَ: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجدُ ذلك فى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[١] سفر التكوين ٣٩: ٢ – ٣
[٢] سفر الجامعة ٥: ١٠ & ١١: ٩ – ١٠ & ١٢: ١ – ١٤ ، إنجيل يوحنا ١٠: ٩ – ١١
[٣] إنجيل يوحنا ١٩: ١ – ٣٠
[٤] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٥: ٨ – ١٠